أعمالها النثرية والشعرية الكاملة صدرت في القاهرة

نازك الملائكة «أسطورة» الشعر العربي الحديث

□ في أربعة أجزاء ضخمة، وأكثر من ألفين وثلاثمائة صفحة، صدرت عن «المجلس الأعلى للثقافة» في القاهرة الأعمال النثرية والشعرية للشاعرة العراقية الرائدة نازك الملائكة التي لا تزال منذ سنوات طويلة على سرير المرض، مواصلة علاجها في القاهرة التي احتضنت نتاجها منذ بداياتها آخر الأربعينات. وكانت الشاعرة خلال الحرب الأخيرة على العراق قلقة جداً إزاء وطنها وأهلها، وراحت تتابع ما يحصل على رغم الغيبوبة التي تحل بها حيناً تلو آخر. هنا مقالة عن ظاهرة نازك الملائكة.

حاتم الصكر

■ نازك الملائكة شاعرة وكاتبة عربية في المقام الأول، يدل إلى ذلك ان انفجارات شعرها الحر الأول وخروجها على العمود الخليلي، كانت عبر قصيدة «الكوليرا» التي كتبتها متأثرة بما جرى ذلك العام في مصر (١٩٤٧). كما أنها ألفت كتابها النقدي الثاني عن شعر الشاعر المصري علي محمود طه، ولم تكن في مراحل شعرها المختلفة، وأطروحاتها النقدية بعيدة من الهم العربي المشترك.

ان تقديم نازك الملائكة بإرثها الشعري ومنجزها كاملاً، الى قارئها، في هذه اللحظة الثقافية العربية الدقيقة، يحمل أكثر من معنى:

– فهو يمثل تحية وعرفاناً لجهود هذه الشاعرة والناقدة التي كانت حياتها في الأدب (ولدت في بغداد عام ١٩٢٣) كفاحاً وكداً مستمرين بجد واخلاص وجرأة ومسؤولية.

– ويمثل تعاضداً وتضامناً مع مشروعها التجديدي ذاته، والذي بدأ باصطفاف ما يُعرف بجيل الرواد في النصف الثاني من الأربعينات، بتجديد دم القصيدة العربية الذي تخثر طويلاً.

– ويمثل هذا الإصدار الضخم كذلك، تحية لثقافة شعب العراق الذي يعاني مثقفوه – شأن مواطنيه عموماً – ظروفاً قاسية سواء خلال الحصار أم بعد الحرب الأخيرة مما جعل النشر محدوداً. فالعقوبات الظالمة منذ اثني عشر عاماً، منعت حتى وصول أدوات الطباعة ولوازمها، فضلاً عن حرمان القارئ من تداول الكتاب واستيراده، وارتفاع أسعار المتوافر منه الى درجة لا يستطيع معها المواطن متابعة ما يحصل من أحداث وظواهر واصدارات.

– والمشروع يضم إضافة الى ما سبق بعض إصدارات نازك الملائكة التي ظلت بعيدة من أيدي القراء بسبب نشرها المحدود مثل حديثها عن تجربتها الشعرية ونشأتها وتأثراتها الأولى في صفحات أسمتها (لمحات من سيرة حياتي وثقافتي) التي تكشف فيها عن جوانب مهمة في نشأتها الأسرية في أحضان أب محب للغة والأدب، وأم ذات محاولات شعرية تقليدية (جمعتها نازك في ديوان)، وشقيقات وأشقاء وأخوال يهتمون جميعاً بالشعر خصوصاً، والأدب عموماً، وكان لتشجيعهم أكبر الأثر في انطلاق تجربتها ومساهمتها الفذة في حركة التجديد الشعري العربي، وهي لا تزال في ريعان شبابها، حيث صدر ديوانها الأول عام ١٩٤٧ بعنوان «عاشقة الليل» ليعكس تأثرها بالمذهب الرومانسي، ذلك ان الليل كما تقول هي في اللمحات «كان يرمز عندي الى الشعر، والخيال، والأحلام المبهمة، وجمال النجوم، وروعة القمر، والتماع دجلة تحت الأضواء، وكنت في الليل أعزف على عودي في الحديقة الخلفية للبيت بين الشجر الكثيف، حيث كنت أغني ساعات كل مساء».

ان هذا المقطع يؤكد نزعتها الغنائية منذ صباها، وميلها الى العزلة التي كانت تريدها لنفسها، بعيداً من استهلاك حياتها بما هو يومي وعادي وعابر... تركته لسواها من الصديقات والزميلات... كونت نازك لنفسها ثقافة خاصة بمجهود شخصي، فتعلمت لغات عدة (الانكليزية والفرنسية واللاتينية) ودرست العزف على العود دراسة مسائية منظمة، وكذلك التمثيل، فضلاً عن تعمقها في علم العروض واللغة، وقراءة الشعر منذ صباها، ثم واصلت دراستها وحصولها على الدكتوراه... وعملت في التعليم الجامعي سنوات في العراق والكويت حتى مرضها. ظل الحزن سمة غالبة في شعر نازك، وهو ما رصده مقدم أعمالها الشاعر عبده بدوي الذي قال: «إن حياتها حولت الى شعر خالص... ثم ان فيها الحزن والعمق اللذين يعتبران جناحين للشعر... كانت تحس بالآتي، وتتعامل مع القادم فكأنها زرقاء اليمامة العصرية...». وهو يشير بذلك الى المرحلة الأخيرة من شعرها حيث ساد الحس الصوفي والزهدي أجواء شعرها، وراحت ترثي ما آلت اليه حالة الأمة العربية من خسائر وهزائم وانتكاسات، جعلتها هي ذاتها تحس الاحباط وتنكص عن مشروعها التجديدي الذي بدأته بحماسة وجرأة مثلتهما مقدمتها التاريخية لديوانها الثاني «شظايا ورماد» الصادر عام ١٩٤٩، والذي أثار ضجة عنيفة وجدلاً كبيراً بسبب ما ضمنته من أفكار متمردة على الموروث الموسيقي للقصيدة العربية الخاضعة لسطوة العروض الخليلي ألف عام، وتصفها بأنها أصبحت مألوفة وتالها الصدأ لطول ما لامستها الأقلام والشفاه. تقول نازك في المقدمة: «لقد سارت الحياة، وتقلبت عليها الصور والألوان والأحاسيس، ومع ذلك، فما زال شعرنا صورة لقفا نبك، وبانت سعاد، الأوزان هي هي، والقوافي هي هي، وتكاد المعاني تكون هي هي».

وعلى هدي ثورتها العروضية واللغوية بدأت مرحلة الشعر الحر التي تطورت الى مدى أوسع مما توقعته نازك نفسها، بجهود شعراء الوطن العربي من جيلها ومن جاء بعده... وطوّروا مقترحها وأوغلوا في مغامرة التحديث... ولكن نازك في حساب الإرث والحاصل الأدبي سيسجل لها أنها لم تكتف بالتجديد في الشكل الشعري، بل دافعت عنه في كتابها النقدي الذي يُعد من الكتب الأولى التي تقوم بالتنظير للشعر الحر، أعني «قضايا الشعر المعاصر» الذي صدر عام ١٩٦٢، مؤكدة فيه صلة الشعر الحر بالتراث العربي، متحدثة عن بداياته، وما يمكن ان نعده تمهيداً له «كتجارب علي أحمد باكثير، وعرار، ولويس عوض، ومحمد فريد أبي حديد». كما أوغلت نازك في بسط الفرضية العروضية التي يقوم عليها الشعر الحر، وبينت بعض ما أسمته مزالق أو عيوب هذا الشكل وحذرت منها.

وأياً كان مصير مقترح نازك ومحدوديته، وتراجعها عنه في سنوات الكتابة الأخيرة (قبل مرضها) فإنها ستظل ذات مكانة بارزة في الثقافة العربية عموماً وحركة الجديد في الشعر العربي خصوصاً، فضلاً عن دلالة كونها امرأة عربية تسهم بمسؤولية وجرأة في ثقافة وطنها في أعوام الأربعينات التي لم يكن المجتمع العربي فيها قد اكتملت رؤيته لدور المرأة في بناء المجتمع وامكان اسهامها في ثقافته وأدبه... فكان حضورها ترميزاً لنهضة المرأة العربية.

ولكن نازك الملائكة بما امتلكت من عوامل الثقافة الذاتية والدراسة المنظمة فضلاً عن موهبتها، استطاعت أن تعطي لإسهام المرأة تجسيداً رائعاً، وتعبيراً ذا بعد رمزي مهم، دلالته الموجزة هي أن الشاعرة لم ترضَ بدور التابعة أو المقلدة، بل أسهمت عبر تجاربها الشعرية وكتابتها النقدية، في التنبيه على ضرورة التحول والتغيير والاندماج في قلب العصر ونبضه المتسارع.

ويستحق ناشر أعمالها الشعرية والنثرية الكاملة (المجلس الأعلى للثقافة بمصر) الشكر والعرفان لمبادرته التي أشرنا الى أهمية ما تعنيه في بداية قراءتنا هذه... إذ صار إرث الملائكة بأكمله بين أيدي قراء الشعر الذين يحتفظون لنازك في ذاكرتهم بذلك الدور التأسيسي الرائد، وتحويل مجرى الشعر العربي باتجاه الحداثة والمعاصرة... من جهة نقدية أجد ان نقاد الشعر (والحداثة في وجه خاص) سيرون في مجموع شعرها ونثرها مناسبة لإعادة قراءة نازك: شعراً ومشروعاً... وسيرون بوضوح المنحنى الذي سار فيه خط شعرها بدءاً بمحاولاتها المتواضعة المتأثرة بالرومانسية وشعر المهجر، ثم تبلور رؤيتها التجديدية ولكن ضمن إطار ما أسمته هي «الشعر الحر»، ودفعت الى اعتراضات ومساجلات لا تزال قائمة حتى الآن، لا سيما ما اتصل منها بالمصطلح ذاته الذي وجد فيه المهتمون مخالفة لما يناظره في الشعر الغربي. فحرية شعرها الحر تتصل بالتفعيلات والقافية فقط، بينما يعني مصطلح «الشعر الحر» غربياً، التحرر التام من الوزن والقافية لمصلحة الاسترسال النثري الذي كان تمهيداً لظهور قصيدة النثر، وتبلور نظرتها في الإيقاع واللغة الشعرية.

وتمتد المساجلات الى مقدمتها الحادة لديوانها (شظايا ورماد) والتي دخلت في سجل بيانات الحداثة العربية كحجر ضخم في ماء الشعر المتجمد ومنبه ممّا أسمته نازك (الرقدة الطويلة التي جثمت على صدر الشعر طيلة القرون الماضية). واللافت في المقدمة ان اعتراض نازك على الشعرية العربية السائدة يمتد من العروض (وزناً وقافية) الى اللغة الشعرية ذاتها على رغم ان مناقشتها حصرت في «الألفاظ» فمثلت لها باختفاء مفردات شائعة في الشعر الموروث (كالبدر) واستبدالها بألفاظ أخرى (القمر).

ويجيء أهم السجالات التي أثارتها المقدمة من جهة شعراء الحداثة أنفسهم إذ رأوا فيها – كما رأى النقاد – تحجيماً للثورة الشعرية وحصراً لها في «اللون البسيط من الخروج على القواعد المألوفة» كما قالت الشاعرة نفسها، مؤكدة ان مقترحها «ليس خروجاً على طريقة الخليل، وانما هو تعديل لها يتطلبه تطور المعاني والأساليب».

وأرى ان حدود الحرية التي أرادتها نازك لمقترحها هي بهذا التواضع والمحدودية، فلماذا ننتظر منها ما لا تطمح هي اليه؟

والكلام نفسه سيرد في حديثها عن القافية وما أسمته «الخسائر الفادحة التي أنزلتها القافية الموحدة بالشعر العربي طيلة العصور الماضية». ولكنها لم تطمح بسحب ايقاعية القافية وموسيقاها، واستبدالها بمحاور ايقاعية أخرى داخل النص كما سيقترح شعراء قصيدة النثر، لذا ظلت القافية عندها محوراً موسيقياً لازماً ولكن من دون نمطية أو رتابة. وباستجلاء ما أسمته لاحقاً «سايكولوجية القافية»... الأهم من ذلك في المقدمة هو حديثها عن الترميز والإيحاء والإبهام، ودعوتها لنبذ المباشرة، والاهتمام بالذات التي ترى أنها بحر زاخر بالصور والانفعالات والأحاسيس الغامضة والمغلفة بالأسرار... ومن هنا جاءت حماستها للرموز الاغريقية والأساطير التي لم تجد على يديها ما وجدته في شعر السياب (لاحقاً) من اندماج في أفق النص ذاته وليس الاكتفاء بإلصاقها خارجياً كما فعلت نازك.

إن صدور أعمال نازك الكاملة مناسبة أيضاً لاستذكار جهدها النقدي الرائد في «قضايا الشعر المعاصر» على رغم اختلافنا معها في النظر الى الأفق المتوقع للحداثة والحكم على التجارب اللاحقة لها من دون تمحيص وتفهم لسياقاتها...

ولعل إشاراتها المعمقة الى جذور نشأة الشعر الحر وظروفها ومناقشتها للفرضيات التي قام عليها ستظل من أكثر المستندات النظرية التي رافقت ظهور الشعر الحر في العراق والوطن العربي، أهمية وأحقها بالدراسة والمعاينة دائماً.

«جوائز الدولة في مصر» تمنح غداً... و«العاصفة» سبقتها

مرشحون غاضبون و«رجال الدولة» يدخلون المنافسة بعد الوزراء

□ *القاهرة – حازم أبيض*

■ تعلن في مصر يوم غد السبت ٢١ حزيران (يونيو) الجاري اسماء الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية، اضافة الى جوائز «التفوق» و«مبارك» التي تمنح سنوياً في مجالات الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية، في اجتماع يعقده المجلس الاعلى للثقافة برئاسة فاروق حسني وزير الثقافة المصري. وكالعادة استغل المثقفون المصريون المناسبة للتساؤل مجدداً عن جدوى هذه الجوائز وصدقية اللجان المانحة لها، خصوصاً ان التسريبات المتاحة حتى الآن عن الأسماء المرشحة للفوز تؤكد انها ستكون صالحة لفتح شهية المناوئين للوزارة والمتربصين بالمجلس الاعلى للثقافة ولجانه، ذلك على رغم ان قائمة المرشحين تخلو للمرة الاولى منذ سنوات من الوزراء الحاليين خلافاً للعادة التي ترسخت في السنوات السابقة وإن لم تخل من «رجال الدولة النافذين»، ومعظمهم يحمل لقب «وزير سابق» أو يرافقه هذا التعبير الغامض «رجل دولة».

نبدأ بجائزة «مبارك» وهي الارفع من حيث قيمتها المالية التي تبلغ ١٠٠ ألف جنيه مصري (نحو ١٧ الف دولار)، وهذا العام يتسم الصراع حول الجائزة في فرع العلوم الاجتماعية بالمنافسة الحادة، إذ تضم القائمة ما يقارب ١٣ مرشحاً ابرزهم المفكر الاقتصادي البارز اسماعيل صبري عبدالله الذي تولى وزارة التخطيط المصرية اوائل السبعينات، ومنصب نائب رئيس حزب التجمع اليساري المعارض، اضافة الى فتحي سرور رئيس مجلس الشعب (البرلمان) المصري، وابراهيم نافع نقيب الصحافيين المصريين ورئيس اتحاد الصحافيين العرب، ومصطفى العبادي استاذ التاريخ الروماني والاب الروحي لمشروع إحياء مكتبة الاسكندرية. ويمكن القول ان فرص بقية المرشحين للجائزة متساوية، ومعظمهم تولى حقائب وزارية مثل: علي لطفي رئيس الوزراء الاسبق، وعائشة راتب وزيرة الشؤون الاجتماعية في السبعينات، وصبحي عبدالحكيم رئيس مجلس الشورى السابق، اضافة الى المؤرخ المعروف يونان لبيب رزق.

وفي جائزة الفنون هناك عدد من الاسماء تشير القراءة الاولى لها الى ان المنافسة ستنحصر في خمسة ابرزها: الكاتب المسرحي الفريد فرج، المخرج السينمائي يوسف شاهين، وسمحة الخولي الرئيسة السابقة لأكاديمية الفنون، فضلاً عن التشكيليين سامي رافع وحامد سعيد. وعلى رغم ما تضمه القائمة من اسماء اخرى منها مريم عبدالعليم وعلي رأفت، شيخ المعماريين المصريين والمعماري فاروق الجوهري، خلت القائمة هذه المرة من اسم الفنانة التشكيلية تحية حليم التي رحلت قبل ايام، وكانت فقدت فرصتها للفوز بالجائزة بسبب تقديم اسم مرشح آخر.

وفي فرع الآداب بات من المؤكد ذهاب الجائزة الى العلاّمة شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية، وهو الذي لم يوفق في الحصول عليها لعامين متتاليين بعدما حصل عليها الكاتب انيس منصور والناقد الراحل عبدالقادر القط عضوا المجلس الاعلى للثقافة. غير ان ضيف هو الاقرب هذه المرة، خصوصاً ان الاسماء المنافسه له تبدو اقل من حيث وزنها السياسي، فضلاً عن القيمة العلمية وهم في عداد تلامذته ومنهم زكي العشماوي الاستاذ في جامعة الاسكندرية وأحمد هيكل وزير الثقافة المصري السابق. وأياً يكن الاسم الفائز بالجائزة فهي لن تمر مرور الكرام، خصوصاً بعد ان استبعدت لجان فحص الترشيحات اسم الكاتب الاسلامي محمد عمارة، مرشح مجمع البحوث الاسلامية، وقد رشحه المجمع في مجال الآداب فيما يقع مجمل انتاجه في العلوم الاجتماعية. لكن هذا الاستبعاد لن يفسر هذا التفسير الاجرائي وانما سيقرأ على خلفية السجال الدائر في مصر بين انصار الدولة الدينية الذين يمثل عمارة واحداً من رموزهم، وانصار الدولة المدنية في وزارة الثقافة الذين يحلو لعمارة وصفهم بـ«العلمانيين». ولم تغب عن الذهن احتجاجات اساتذة جامعة الازهر العام الماضي على الاجراءات المتبعة للترشيحات الى جوائز الدولة.

أما جوائز الدولة التقديرية، التي تبلغ قيمتها المالية خمسين الف جنيه مصري (ما يعادل ٨ آلاف دولار) فيلاحظ إزاءها اصرار النقابات الفنية والجمعيات العلمية على الدفع بمرشحين على عكس الجامعات التي تنازل بعضها عن حقه في تقديم مرشحين، فيما اصرت جامعات اخرى على قصر هذه الترشيحات على رجالها الاكاديميين. وهذا العام تتنافس في جائزة فرع الآداب تسعة أسماء والمطلوب اختيار ثلاثة اسماء أقربهم الكاتب صبري موسى وسليمان فياض ومحمد رجب البيومي. وتتساوى فرص الاكاديميين محمد حسن عبدالله وعبدالحميد ابراهيم وكاتب الخيال العلمي نهاد شريف.

وتنحصر المنافسة على «تقديرية الفنون» بين عدد من التشكيليين ومنهم عبدالقادر مختار وصالح رضا وصبري منصور وعمر النجدي، وان كان اسم الملحن كمال الطويل هو الاقرب للفوز بالجائزة. وهناك فرص كبيرة لكاتب الدراما محفوظ عبدالرحمن صاحب مسلسل «ام كلثوم» وفيلم «ناصر ٥٦» وتكاد فرصته تتساوى مع محمد فاضل مخرج الفيلم نفسه.

والملاحظ ان لجان فحص الترشيحات قامت هذا العام بتنفيذ التوصية التي تطالب باستبعاد قيادات وزارة الثقافة من قوائم الترشيح. فاستبعد اسم الفنان التشكيلي احمد نوار رئيس قطاع الفنون التشكيلية في الوزارة. وعلى رغم وجود نحو ١٧ مرشحاً لنيل «تقديرية العلوم الاجتماعية»، الا أن من الصعب الرهان على فوز أي مرشح، ربما لأن معظم المرشحين من أبناء السلك الاكاديمي، وجاءت ترشيحاتهم من طريق الجامعات والجمعيات العلمية المتخصصة. وإن كانت أسهم مصطفى الفقي رئيس لجنة الشؤون العربية في البرلمان المصري كبيرة، فعلى اعضاء المجلس ان يختاروا معه ثلاثة اسماء، ومن ابرز المرشحين صلاح عامر استاذ القانون الدولي وزبيدة عطا استاذة التاريخ وناهد صالح من المركز القومي للبحوث الاجتماعية وعادل غنيم مرشح الجمعية التاريخية المتخصص في تاريخ فلسطين.

وفي جائزة التفوق التي تبلغ قيمتها ٢٥ الف جنيه (ما يعادل ٤ آلاف وخمسمئة دولار)، يلاحظ ارتفاع عدد المتقدمين بأنفسهم من الكتاب والفنانين الذين يئسوا فيما يبدو من امكان ترشيحهم عبر الجامعات أو الجمعيات التي تملك حق الترشيح. ويبدو ان مرشحي اكاديمية الفنون هم الاقرب الى الفوز في فروع الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. وهم بالترتيب: المؤلف الموسيقي راجح داود، الناقدة المسرحية نهاد صليحة، أميرة حلمي مطر استاذة علم الجمال. وعلى رغم ذلك تبدو المنافسة شرسة بخاصة في فرع الفنون، إذ تقدم للجائزة كل من السيناريست وحيد حامد والراحل محسن زايد. وترتفع حمى المنافسة في جائزة «التفوق» – فرع الآداب بين المتقدمين بأنفسهم مثل الشاعر حسن طلب والروائي فؤاد قنديل. ويلاحظ قيام لجنة الترشيحات باستبعاد عدد كبير من المتقدمين للجائزة وبينهم اسماء معروفة مثل: محمد مستجاب، عبدالعال الحمامصي، احمد الشيخ، سعيد سالم، فتحي امبابي الذي سبق أن فاز بجائزة الدولة التشجيعية.

ووفقاً للترتيبات الادارية يبدأ اجتماع المجلس بعرض جدول الاعمال ثم اقرار ترشيحات لجان فحص الانتاج المقدم لنيل جوائز الدولة التشجيعية. ومن المتوقع استمرار ظاهرة حجب عدد من الجوائز المخصصة لفرع العلوم الاجتماعية بعدما لاحظت اللجان ضعف الانتاج المقدم، كما أن اللجان لم تستخدم حقها القانوني في ترشيح اعمال لم يتقدم أصحابها لنيل الجائزة.

واذا كانت جائزة «تشجيعية الرواية» ستلقى قبولاً في اوساط المبدعين الشباب لجدارة أو موهبة الفائزين بها، الا ان جائزة الشعر لن تلقى القبول نفسه بعدما اوصت اللجنة بمنحها للشاعر سمير فراج عن ديوان «الآتون من رحم الغضب» في شعر الفصحى، وهو ديوان ينتمي في معظم قصائده الى قصائد المناسبات التي تمجد المقاومة الفلسطينية واللبنانية بأسلوب مباشر وبناء كلاسيكي لا يخلو من تكلف. أما الشاعر محمد الغيطي الفائز بـ«التشجيعية» في مجال شعر العامية عن ديوان «النقش على المية» فسيصبح هو لا ديوانه هدفاً للانتقاد بعدما اشيع عن تورطه في العمل كسكرتير صحافي لراقصة مصرية مشهورة، وما سيزيد من حدة النقد كونه اقرب الآن الى مجال كتابة الدراما منه الى مجال الكتابة الشعرية.

لمحات ثقافية

مودي بيطار
كادت تصبح لغزاً

● في الذكرى المئة لوفاة جيمس ماكنيل ويسلر يستعاد عمله الأشهر «تنسيق بالرمادي والأسود الرقم واحد» الذي يعرف باسم أكثر جاذبية: «أم ويسلر». اللوحة المتقشفة اكتفت بخلفية مختصرة وامرأة جامدة لكنها تحولت الى أحد أشهر المعالم الثقافية في أميركا. في المناسبة صدر كتاب «أم ويسلر: ايقونة أميركية» الذي نقحته مارغريت ماكدونالد عن دار لند همفرين، وتعرض اللوحة في هانتريان آرت غاليري في غلاسغو، اسكوتلندا، من ٢١ حزيران (يونيو) الى ٤ تشرين الأول (أكتوبر).

لم تحضر الشابة التي اتفق الفنان معها لتجلس له، فقال لأمه انه رغب دوماً في رسمها. لم يختر وضعاً عاطفياً سهلاً أو يرسم العذراء متقدمة في السن بل شاء لها جلسة غير مريحة جاهدت معها لتحتفظ بتوازن الرأس الثقيل فوق الكتفين المتعبين. كانت في السابعة والستين، ترملت شابة بعد انجاب خمسة أولاد وقصدت لندن لتكون وكيلة ابنها ومدبرة منزله. اتفقت جلستها الطهرانية مع خلفيتها المتدنية. وأثار الفراغ أمامها السؤال عما تحدق به. كان ويسلر بدأ يتحول من الواقعي الى الإيحائي متأثراً بجماعة «ما قبل رافاييل» ونظرية غوتييه عن الفن للفن. صحيفة «ذا تايمز» انتقدت صرامة اللوحة، فقال ويسلر انه كان يجب ان يضع الانجيل وكأساً من الشيري قرب أمه لكي يشبع رغبة الناس

«أم ويسلر».

بالتفاصيل الصغيرة. امتنع عقدين عن بيعها أملاً في تعليقها في متحف اللوفر لكنه لم يعش ليراها هناك. بقيت فيه ستين عاماً ثم انتقلت الى متحف أورسيه في منتصف الثمانينات، وقفزت شهرتها عندما جالت الولايات المتحدة في ثلاثينات القرن الماضي. وقف مواطنو الفنان الأميركي بالملايين في الصف ليشاهدوا «الوالدة ويسلر»، وفقدت هذه كرامتها كرمز جليل للأمومة لتدخل الفن الشعبي اغاني واعلانات وبطاقات ورسوماً ساخرة. استبدلت بالدمية باربي وحيوانات الرسوم المتحركة، وسميت طائرة دوغلاس أ – ٢٦ «أم ويسلر» لصفير صواريخها (ويسلر هو فاعل يصفر في الانكليزية). وكاد الأميركيون يجعلون نظرتها لغزاً كبسمة «موناليزا» فوضعوا أمامها جهاز تلفزيون أو حولوا نظرتها الى الهاتف قربها كما فعلت «ذا نيويوركر». «نيوزويك» وضعت كومبيوتر أمامها واستبدلت القلب بالآلة فبات القول: «البيت حيث الكومبيوتر». توفيت الأم الاسكوتلندية الأصل في بريطانيا عن سبعة وسبعين عاماً وتزوج الفنان أرملة صديق له لكنه بات أرملها بعد ثمانية أعوام. انهار لوفاة زوجته بالسرطان وقال لشقيقتها: «ماذا سيحدث لي؟ لا أفعل غير التفكير بتريكسي الجميلة». في صيف ١٩٠٣ رحل عن ستين عاماً بعد كآبة وارهاق مزمن. ترك اعماله لشقيقة زوجته فوهبتها لجامعة غلاسغو، وتحتفل المدينة بمئوية وفاته بمعرض مركزه لوحة الأم التي رسمت بالصدفة وباتت تحفته.

اللاسامية أيضاً وأيضاً

● في شتاء هذه السنة اكتشفت رسائل من ت س اليوت الى صديق في مكتبة في سنسيناتي، أوهايو، أظهرت مساعدة الشاعر الأميركي شخصين يهوديين هاربين من النازية في المانيا والنمسا. طلب اليوت من صديقه هوريس كالن مساعدة يهودي خبير بالفن الياباني والكتب النادرة وبروفسور في الاقتصاد على ايجاد عمل في أميركا، فاستعان البروفسور رونالد شوشارد في جامعة ايموري في اتلانتا بالرسائل لينفي لا سامية الشاعر. كان اليوت صديقاً لمفكرين يهود هربوا من المانيا ودان معاملة اليهود في أوروبا وعمل مع جماعات يهودية اهتمت بإعادة بنائها ودعمت اسرائيل. البروفسور شوشارد استعاد اثنتين من القصائد الخمس «اللاسامية» وقول اليوت في محاضرة في ١٩٣٣: «أي عدد من المفكرين اليهود الأحرار (أو الملحدين) مهما كان غير مرغوب فيه». لم يكن الشاعر «لا سامياً بعمق» وحسم النقاش بهذه الصفة، قال شوشارد، يظلم اليوت وأصدقاءه اليهود معاً.

هل كان اكتشاف الرسائل وراء اعادة انطوني جوليوس اصدار كتابه «ت س اليوت: اللاسامية والشكل الأدبي»؟ المحامي الذي درس الأدب الانكليزي في كمبريدج أثار ضجة في منتصف التسعينات عندما أصدر الكتاب (دار تيمز

اليوت في «الغارديان».

وهدسون) ورفض نظرية برنارد لويس في «ساميون ولا ساميون» القائلة ان ت س اليوت كان كارهاً نموذجياً لليهود ومثل آراء عصره. جوليوس أصر على أن الشاعر كان «لا سامياً خارقاً» وليس نموذجياً، وانه لم يمثل عداء زمنه لليهود فحسب بل أضاف اليه وضخّمه. رد بشدة على شوشارد، مطلع السنة، ورفض الدفاع عن اليوت باستخدام صداقته لأفراد يهود. في السابع من هذا الشهر نشر مقالاً في ملحق «الغارديان» الأدبي الذي تبرع بإضافة صورة لاليوت «المتعدد الوجوه». قال انه لا يفهم اللامبالاة التي تواجه اللاسامية بها واعتبار بعض النقاد انها مسألة غير ملحة: «حسناً، كانت ملحة لي، ومن المحتمل أنها كانت ملحة لقراء كثيرين أيضاً، وليس فقط للقراء اليهود». هذا لا يعني ان شعر اليوت كان بياناً لا سامياً. فهو توقف منذ ١٩٢٢ عن اتخاذ عدائه لليهود مصدراً لـ«خياله الشعري» لكنه بقي يستخدم مواضيع لا سامية في نقده.

يحصي جوليوس خمس قصائد لا سامية فقط هي: «بربانك يحمل دليل بيديكير: «بلايستاين يحمل سيجاراً» و«شيخوخة» و«سويني بين عصافير العندليب» و«بيضة تطبخ» و«ترنيمة جنائزية». لا تزال اللاسامية، يقول جوليوس، تساهم في المناخ العام، وحق اسرائيل في الوجود ومشروع تقرير المصير اليهودي يرفضان، واليهود يقتلون لأنهم يهود. اليوت تمتع باستخدام البذاءة ضد اليهود ووجد سلوى في احتقارهم ولم يتعاطف مع معاناتهم، إلا أن ذلك لم يمنعه من اقامة صداقات مخصصة مع بعضهم.

خارج الحرب

● كان لا بد من انضمامها الى جمعية الكتاب في بكين بعد نشرها بضع مجموعات شعرية على أن شان صا كانت يومها في الخامسة عشرة. الطفلة المعجزة تركت بلادها الى باريس عندما بلغت الثامنة عشرة لتعمل ملهمة ومساعدة للرسام بالتوس. بعد روايتين حازتا جائزتين ترجمت روايتها الثالثة «الفتاة التي لعبت غو» من الفرنسية الى أربع عشرة لغة بينها الانكليزية (دار شاتو اند ويندس). تحولت الرواية الى فيلم أيضاً وتدور أحداثها أثناء الاحتلال الياباني للصين في الثلاثينات. يتناوب صوتان على السرد: الجندي الياباني الذي يبدأ رحلته بأحلام عنيفة مقتنعاً بأنه يقتل الصينيين ليخلصهم مثل كل محتل، والفتاة الصينية التي تبلغ السادسة عشرة وتجد نفسها بالصدفة في صفوف المقاومة. هي رمز أرضها والحياة الجديدة وهو ممثل الموت والحضارة العسكرية «الرجولية» في بلاده، وعندما يتجهان الى الساحة ليلعبا «غو» يتداخل العداء والمنافسة بالاحتمالات الجنسية بينهما.

تذكر رواية صا بـ«دكتور جيفاغو» وتسجل الصراع بين الاقطاع والتحديث في بلادها ومشاعر الأفراد المعقدة حيال الموت والحرب والحب. لا يشك الجندي في حتمية طريقه عندما توصيه أمه: «إذا كان عليك الخيار بين الموت والجبن لا تتردد». قول الأم البارد القاتم يتردد هاجساً ومبدأ أعمى، لكن مفهوم الشرف يصارع المشاعر الانسانية وينهزم. اعتقد انه محصن ضد العواطف الضعيفة ورأى نقاء شبه مقدس في لقاء الجنود وبنات الهوى لأن الطرفين لا يطلبان شيئاً خارج الجسد. لكنه يسلك طريقاً آخر ولا يتنازل عن حقه في الفرح وسط الحرب والكراهية.

شان صا.

عدد جديد من «ايران والعرب»

■ صدر عن مركز الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط، العدد الرابع من فصلية «ايران والعرب»، وفيه مجموعة من الدراسات والمقالات، فضلاً عن الأبواب الأخرى.

اعتبر سيد حسين موسوي في افتتاحية العدد «الحرب على العراق والنظام الدولي الجديد» ان تداعيات هذه الحرب تزيد من الاتجاه الى تدويل منطقة الشرق الأوسط، وكذلك درجة التأثر بصوغ القوة على الساحة العالمية.

وتضمن العدد أيضاً ندوة بعنوان «السياسة الخارجية الايرانية في آسيا الوسطى والقوقاز» شارك فيها عدد من الباحثين والأكاديميين الايرانيين الذين تباحثوا حول المكانة التي تحتلها هذه المنطقة في السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية في إيران.

وتضمن باب «دراسات» عدداً من الدراسات: العلاقات الإيرانية – المصرية والنظام الدولي (حميد أحمدي): العلاقات العربية – الإيرانية في مجال التراث البلاغي (إحسان صادق اللواتي): الصحافة الإيرانية بعد الثورة الإسلامية (علي بهرام بور): الفن الإسلامي ومجالاته (زهرا زهنورد): رباعيات الخيام بعين مصطفى وهبي التل (يوسف بكار): موجز تاريخي لترجمة معاني القرآن الكريم بالفرنسية (جواد حديدي).

أما باب «قراءات – إصدارات»، فحوى مراجعة لعدد من الكتب الصادرة بالعربية والفارسية، فيما غطى باب «فعاليات» ندوتين حول جلال الدين الرومي في كل من قطر والسودان. وأخيراً عرض باب «وقائع» للمواقف الإيرانية من الحرب على العراق في الفترة الممتدة بين كانون الثاني (يناير) وآذار (مارس) ٢٠٠٣.